همزية ابن الرومي (دراسة صوتية)

م. م. فاطمة عبد الحسين مسير خلف الجبوري

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء

fatimaabdulnusseinaljubouri@gmail.com

ملخص:

تقوم الدراسة على توضيح الدلالة الصوتية وسعيها في خدمة القواعد والقوانين اللغوية إذ يتم من خلالها القفز من المبنى إلى المعنى من خلال تضافر الأصوات بعضها مع بعض للتعبير عن الدلالة المقصودة وتبين الدراسة إن الصوت هو جوهر الألفاظ التي تبى عليها الكلمة لتهيئتها للتركيب. لذلك تعد الأصوات المنبع الرئيس لتشكيل اللغة، فهي تؤدي وظيفة تأليف الكلمات لإنتاج معانيها وكذلك أثر الصوت بلحاظ انه يدمغ الجملة ونوعها ويحدد طريقة التواصل القائم بين المتكلم والمخاطب وهو بذلك يميز في الجملة الواحدة دون أي تغير في مكوناتها والمصادر والمراجع المعتمد عليها فهي: الكتاب، ديوان ابن الرومي، واسباب حدوث الحروف لابن سينا، والأصوات اللغوية وغيرها.

الكلمات المفتاحية: همزية، ابن الرومي، دراسة صوتية.

(Hamzah in Ibn Al-Rumi) A Phonetic Study

Dr. Fatima Abdul Hussain Maseer Khalf Al-Jubouri

University of Karbala، College of Humanities

fatimaabdulnusseinaljubouri@gmail.com

Abstract

This study aims to elucidate the phonetic significance and its role in serving linguistic rules and regulations. It involves transcending from structure to meaning through the interaction of sounds with each other to convey the intended semantic content. The study reveals that sound is the essence of words upon which language is built to structure them for composition. Therefore، sounds are the primary source for shaping language. They perform the function of word formation to produce its meanings. Additionally، sound influences the sentence as it imbues it with its characteristics and determines the mode of communication between the speaker and the addressee، distinguishing the sentence without any alteration in its components. The study relies on various sources and references، including the book، Ibn Al-Rumi's collection of poems (Diwan)، Ibn Sina's reasons for the occurrence of letters، and linguistic phonemes، among others.

Keywords: Hamzah، Ibn Al-Rumi، Phonetic Study.

المقدمة

إن الصوتَ هو جوهر الألفاظ التي تبن عليها الكلمة لتهيئتها للتركيب، لذلك تعد الأصوات المنبع الرئيس لتشكيل اللغة، فهي تؤدي وظيفة تأليف الكلمات لإنتاج معانيها، ومن هذا المنطلق كان اختياري لموضوع يتعلق باللغة الشعرية في جانبها الصوتي؛ لتذوق الصوت في النسق الشعري، وبما قدمه لنا من أنماط متنوعة.

ومنها دلالة الصوت، وسعيها في خدمة القواعد والقوانين اللغوية، إذ يتم من خلالها القفز من المبنى إلى المعنى؛ من خلال تضافر الأصوات بعضها مع بعض للتعبير عن الدلالة المقصودة، مما يتيح للنفس فرصة السمو بالأفكار والمشاعر أني أردت لهذا البحث المتواضع أن يكون تثمينا لما سبقه من الدراسات والبحوث، داعية فيه إلى تنمية الإحساس بتذوق الانسجام الصوتي، الذي يستخدم ألفاظ تكون بؤرة لتحليل النص الشعري، ليبين تضافر الأصوات بعضها مع بعض في إنتاج الدلالة.

و لقد عنونت هذا الاختيار بـ ((همزية ابن الرومي دراسة صوتية)) ومن المعلوم أن الدلالةَ الصوتية هي: تلكَ الدلالةُ التي تُستمد من طبيعةِ بعض الأصوات، فإن حدثَ إبدالٌ، أو إحلال صوت منها في كلمة، بصوت آخر في كلمة أخرى؛ أدى ذلك إلى اختلافِ دلالةِ كل منهما عن الأخرى.

والمتأمل في الجهد التراثي لعلمائنا الأجلاء يجد ذلك واضحا، ومنها الفرق الدلالي لاستبدال الحرف في الكلمة الواحدة، فطبيعة الصوت وقوته حولت الدلالة في الكلمة، وتغيير الدلالة بحسب قصدية المتكلم، أو مراعاة المخاطب.

والواقع أن تتبعي لهمزية ابن الرومي أتاح لي فرصة التأمل فيها، وما عرضته من أحداث وسلوكيات وعبر، جاءت كلها بأنماط رائعة، الأمر الذي يحببها إلى النفوس، حيث يسهل نفاذها، كل ذلك بفضل ما أحدثه تضافر الأصوات بعضها مع بعض، مما جعل المعانِي البعيدة مألوفة وقريبة من النفس.

ومن المصادر والمراجع التي أسهمت في إثراء بحثي: الكتاب، وأسباب حدوث الحروف لابن سينا، والأصوات اللغوية وغيرها.

وقد توزع هذا البحثُ على تمهيدٍ وثلاثةِ مباحثٍ، أما التمهيدُ فقد كان في تضافرِ دلالةُ الأصوات بعضها مع بعض؛ لإنتاجِ الدلالة، فضلًا عن بروز أصوات فردية كالهمزة ذلك أنها تمثل حرف الروي للقصيدة، ثم عرضت القصيدة منتقية بعض الأبيات منها بحسب مقتضيات البحث، فهي تتكون من مئة وتسعة وأربعين بيتا في عتاب صديقه.

وكان المبحث الأول: عن الأصوات المهموسة، والثاني: الأصوات المستعلية، والمنخفضه، أما الأخير: فتوجهت فيه إلى أصوات الذلاقة.

وأنهيت البحث بخاتمة تجمل ما استخلصته من ملاحظ، ونتائج، فما كان صوابًا، نحمده عليه، وغير ذلك فالكمال لله وحده، وأننا نأمل أن يوفقنا الله فيما يسره لنا و قدرنا عليه، و نتمنى أن يكون نفعا لكل قارئ إن شاء الله.

التمهيد

تعد ألدراسةُ الصوتيةُ محل عناية العلماءِ والدارسين من القدماءِ والمحدثينَ، إذ لا نكاد نجدُ كتابا من كتبِ القدماء يخلو من إشاراتٍ، أو توجيهات صوتيةٍ، ويؤيدُ هذا اثنان من كبار الباحثين الأوربيين هما: المستشرق الألماني براجشتراسر، إذ قالَ مؤكدًا: إنّ العربَ والهنودَ، هم الأسبقُ من الأوربيينَ في هذا العلمِ (التطور النحوي للغة العربية ٥٧).

واللغوي المعروف الأستاذ فيرث يقُولُ: ان علمَ الأصوات قد نَمَا واصبحَ يافعًا، في خدمةِ- السنسكريتيةِ والعربيهِ - اللغتينِ المقدستينِ (البحث اللغوي عند العرب ١٠١) ويتضح أنَّ ((العرب مقدمون على الهنودِ لأنهم اسبق، ثم أنّ السنسكريتيةَ لغةٌ آثاريةٌ والعربيةُ خالدةٌ)) (الصوت اللغوي في القرآن ٣٣).

وقد تنبه القدماءُ إلى وجودِ صلةٍ بين الصوت والمعنى (المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/ ٤٧)، منهم الخليل (ت١٧٥هـ) وسيبويهُ (ت١٨٠هـ) إذ وردتْ إشاراتٌ في كتابِ الخليلِ (العين) وكتابِ سيبويهِ، تشير إلى وجود صلة بين طبيعةِ الصوت المراد والمعنى.

يَقولُ الخليلُ: الصوْ قَرير: هي محاكاةٌ لطائرٍ يُصوقِرُ في صياحِهِ، فتسمع هذه النغمةَ في صوتِهِ (العين (صقر) ٥/ ٦٠، وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢/ ٢٦، والممتع في التصريف ١٠٠)، وعلل سيبويه قائلًا: مِن المصَادرِ التي جَاءتْ على ضربٍ واحدٍ، عِند تقَاربها في المعَاني، هي: النزُوان و النقرَان والقفران، والتي تكونَ فِي زعزعةٍ، واهتزاز البدنِ، حَال ارتفَاعه (الكتاب ٤/ ١٢٨).

ومن العلمَاء الذينَ التفتوا إلى هذهِ المسألة، في القرنِ الرابع الهجري ابو علِّي الفارسي، (ت:٣٩٢هـ) فقد درسهَا بخصائصِه؛ وموضعٍ عديدةٍ، مبينًا إن الخضمَ لأكلِ الرَطبِ كالبطِيخِ والقثَاءِ، ونحُوهما منْ مأكولٍ الرطب، والقضمِ للصلبِ اليابِس، نحو: قضَمتْ الدابةُ شعِيرهَا و... فالخَاء أُختيرتْ؛ لرخاوتِها وتلائمها مع الرطْب، والقَاف لصلَابتها لليابس؛ حذوا لمسموعِ الأصوات، على محسوس الأحداث (الخصائص ٢/ ١٥٢) مما جَعَله يلاحظُ العلاقةَ الحسيةَ، والمَادية المُتَجسدة، بينَ الصوتِ والفعلِ تارةٍ، والاسمِ أخرى (الصوت اللغوي في القرآن ٧١٩).

فدراسة الأصوات متطلبة عندَ دراسةِ اللغة؛ فهِي أصوات يُعبرُ بِهَا الأقوامُ من أجلِ تحقيقِ اغرَاضِهم(الخصائص ١/ ٣٣، وينظر: اللهجات العربية والقراءات القرآنية ٦٥)، والصَوتُ، جوهرُ اللغةِ والمُكون الرئيس لها (البيان والتبيين ١/ ٧٩)، فهُو آلةُ اللفظِ، وبهِ يقومُ التقْطِيعُ، وكذَلك التألِيف(البيان والتبيين ١/ ٧٩).

ومن النظريَاتِ الّتي إِستندت إلى الصّوت في تفسِير أَصل اللغات هو أنّهَا قد تَكُون من أصوات المسْمُوعات كدوىّ الرِيح، وحَنِين الرَّعد، وخَرِير المَاء (الخصائص ١/ ٤٦، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/ ١٤-١٥)، وهذا ما أثبته الكثير من أهلِ اللّغَة، على إجتماع المناسبة، بين الألفَاظِ ومعَانِيها (المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/ ٤٧).

والحال نفسها، اللفظ (تنضَحُ) الدالة على فورَانِ السَائل في عُنفٍ، و(تنْضخُ) الدّال على تسرب السائِل ببطءٍ، (دلالة الألفاظ ٤٦) فنتاج دِلَالة الأصوات، من خِلَال تَضافر الالّفَاظ مع بَعْضِها.

فالمادَةُ الصوتِيةُ وما تتضمَنه من إيقاعٍ، وتكرارٍ، و مُوسيقى عذبة، متحركةٍ وساكنة، وما تحوِيه من تأثراتٍ صوتيةٍ؛ تسهمُ فِيْ إثراءِ المعنى، وتلقِي في النصِ ظلالًا وجدانيةً عميقةً، تجعلُ المتلقيَ يعيشُ في ظلالَها الوارفة، يخضعُ بكلِ أحَاسِيسه و وجدَانه لِهذهِ الألفاظِ (الصوت اللغوي في القرآن ١٧٢).

والذي يعمدُ إلى دراسة النص الشعري من وجهة صوتية يدرك مدى التفاعل الذي يحظى به لان ألفاظ النص موحية في جعل السامع يحس بالمعنى أكمل إحساس و أوفاه فضلا عن أنها تصور المنظر للعين وتنقل الصوت للأذن وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محسا (من بلاغة القرآن ١٦٧).

وقد قال الخطابي(ت:٣٨٨هـ): الكلامُ قائمٌ على ثلاثةِ اشياءٍ، لفظٌ حاصل، ومعنى به قائمٌ، ورباط لهما ناظم، (بيان إعجاز القرآن ٢٧) وهذا ما لمسته في شعر ابن الرومي فألفاظه تنطوي على الأصوات الدالة و المحددة لسمات شخصيته الحوارية وسلوكها ولغته في هذا الحوار تنشر هذه الألفاظ لتبين هذا السلوك وتصف هذه الشخصية.

فضلا عن الإبداع العجيب في انتقاء حرف الروي واختياره وتوزيعه على أبيات القصيدة الحاضنة لألفاظه والواصفة لسلوكه و((هـذا المناخ تضفيه الدلالة الصوتية للألفاظ يضاف إليه الواقع السمعي للفظ والتأثير النفسي للكلمة والمدلول الانفعالي بالحدث))) الصوت اللغوي في القرآن ١٧٢).

وسـأدرس اثـر الأصـوات في تحديد الـدلالـة، و توجيهها في بناء المعنى النفسي والسلوكي للشاعر، وهو معاتب صديقه، من خلال المجموعة الصوتية وتقسيمها على ثلاثة مباحث، فضلا عن ذلك ان دراسة الأصـوات تكشف عن الأبعاد الايجابية، والتعبيرية للنص، ويتمثل ذلك بالانسجام والتوافق بين عناصر هذه الأصوات، في المفردات داخل التركيب الواحد) علم الدلالة (دراسة نظرية تطبيقية) ٨٢).

ويعطي هذا النوع من الانسجام مزيدًا من العمق في المعنى إذ لا يمكن استبدال لفظ بلفظ آخر؛ لأنه ينقله من دلالة إلى أخرى) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس،ص ٨٧(، و((إن النعمة التي ينعمها الله على عباده نعمة يرق

لها القلب وتطيب لها النفس رافلة بالخير والإحسان والحنان من خلال الموسيقى المتدفقة من عمق هذه الأصوات))) الصوت اللغوي في القرآن ١٨٥.

ويظهر من خلال دراسة المجموعات الصوتية في قصيدة الشاعر، أنّ هناك أصواتا معينة وردت بكثافة بالغه تفوق أصوات أخرى، ولعل من أهم هذه المجموعات الصوتية الأصوات المهموسة، والمستعلية والمنخفضة، وأصوات الذلاقة بحسب طبيعة الأصوات، بالمشاركة وما ينسج معها، فضلا عن بروز أصوات فردية كالهمزة ذلك أنها تمثل حرف الروي للقصيدة.

فالهمزة فونيم يصدر من الحنجرة، التي يعبر عنها بآلة الصوت، فان صدور هذا الفونيم من العمق أي: الحنجرة» يمثّل قوة لكنها غير متحركة؛ لانسحاب اللسان نحو الخلف وبتأخر اللسان عند تشكيله، وعدم قيامه بأي وظيفة في إنجازه إنه يتأسس على العضوين المشاركين _ اللهاة واللسان _ في تشكيله، عضوان مستقلان متمايزان متحركان خلافا لبقية الفونيمات الانفجارية الأخرى) مدخل في الصوتيات،عبد الفتاح ابراهيم، ص.٩٩ الكتاب ٢/ ٤٠٥(.

ويقوم الجهد العضلي الشاق الذي ينطق به الهمزة مقابلة ببقية الفونيمات العربية الأخرى بإحداث انقباض في الحنجرة والحلق) اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٠٥، والأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس ٢٠(يجسد انقباض دور ابن الرومي وسلبيته، ومن جهة أخرى يوحي الانفجار الحاسم السريع بالحركة والفاعلية رغم صفة الجهر التي لا يزال الشاعر يحاول من خلالها مراوغة الحدث والإصرار على كبرياء الرجل؛ أي الطرف القوي.

وقال ابن الرومي قصيدة وهو معاتب صديقه أبي القاسم التوزيّ بعد ان حصل بينهما خلاف فاستهلها بهفوات صديقه التي كشفتها حاجته في الأبيات من (١-٤)، ثم ألبس تلك الهنات ثوب النساء في الأبيات (٦-٢٣) لينقل إلى عتاب مفصل سمته اللين في الأبيات (٢٤-٢٨)، وينتقل من العتاب إلى التأنيب والتقريع في الأبيات (٢٩-٤١) ثم يمتدحه في الأبيات (٤٢-٦٩) ليعود مره أخرى إلى التقريع في الأبيات (٧٠-١٢٨) ثم يعرض القضية على القاضي أبي بكر شقيق أبي القاسم ليحكم بينهما في الأبيات (١٢٩-١٣٧) ليختم قصيدته بحكم ومواعظ في الأبيات (١٣٨-١٤٩).

وسأعرض منتقية من ابيات القصيدة مبينة أثر تضافر الأصوات مع بعضها وكيفية انتاج الدلالة منها.

المبحث الأول

الأصوات المهموسة

وردت مجموعة الأصوات المهموسة على نحو لافت في لغة الشاعر، والصوت المهموس هو حرف يضعف الاعتماد عليه في موضع جريان النفس معه) الكتاب ٢/ ٤٠٥(، فالأوتار الصوتية لا تهتز حال النطق به) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٠٥.

وعددها عشرة وهي: ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ف، ك، هـ، وهي مجموعة بهذه الكلمات: «فحثه شخص سكت»، فالهمس صفة من صفات الضعف وما تبقى من حروف الهجاء فهي حروف الجهر فالحرف إذا وصف بصفة فلا يمكن ان يوصف بضدها) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس ٢٣) وجاءت بكثرة نحو: صفاء ومصداق وشاهد وهنوات، وغيرها من الألفاظ الواردة في لغة الشاعر لذا سنعرض لنماذج من الدلالات الصوتية للمفردة في عدة من الأبيات الشعرية. ففي قول الشاعر:) الديوان ٦٤)

يـــا أخي: أيـــــــــن ريعُ ذاك اللقاءِ؟
أين ما كان بيننا مـــــن صفـــــاءِ؟
أيـــــــن مصداق شاهدٍ كان يحـــكى
أنـــــك المخلصُ الصحيحُ الإخـــاءِ؟
شـــاهدٌ مـــــــار أيـــــت فعـــــلكَ إلا
غـــــير مـــــا شـــــاهد له بـــــالذكاء
كشفـت منـــك حـــــاجتي هـنـــوات
غطّيت بـــــرهة بـحسـن اللقـــــاء
تـــركتني- ولـــم أكـــن سيِّئ الـظـــن
أُسيءُ الـظنـــون بالأصـــــــدقـــاء

فقد دل لفظ (صفاء) على أجواء الوئام وعمق المحبة بين الشاعر وصديقه، فلفظ (صفاء) بصوت (الصاد) يصور الشق الحنون من شخصيه ويكشف الجانب الـودي بين الطرفين، تماما كمواجهة اسنان الفك العلوي، واسنان الفك السفلي في الصاد) الصوتيات والفونولوجيا ٨٩، وعلم وظائف الأصوات اللغوية- الفونولوجي١١٠، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج١/ ١٦٣).

لذا توجه الشاعر بعتابه على السرعة والاندفاع كسرعة اندفاع هواء الصفير في الصاد) الأصوات اللغوية، ابراهيم انيس ٦٨(، مقابل بطئه عند بعض حروف القصيدة.

ثم يأتي (الفاء) والذي مخرجه شفوي أسناني) الأصوات اللغوية، ابراهيم انيس ٨٥ (ففيه تصوير لسعة العلاقة بينهما، فهو حرف متسع المخرج جدا ويصدر من تماس الشفة السفلى والأسنان العليا، وهي مساحة ممتدة مقارنة بمخارج كثيرة من الأصوات الأخرى مما أهّلته ليوصف عند البعض بالتفشي) الصوت اللغوي في القرآن ١٨٤) فكما تقوم طبيعة الأعضاء بالمشاركة في نطق (الفاء)، صور الشاعر علاقته بصديقه، في إطار من المداعبة والغمز، فالشفة السفلى بمرونتها تمثل صورة العلاقة الودية بينهما،

الأمر الذي جعل الشاعر محاولا احتواء صديقه ومعاتبا إياه، أما الأسنان العليا فتدل بصلابتها على عمق الألم عند الشاعر لذا لجأ إلى العتاب، ليسأله مستفهمًا ومستغربًا عن سبب تغيره، فالعتاب كان محتدم، كاشف ومشخص هنات صديقه وهفواته وعيوبه.

وتجيء طبيعة التَّماس اللطيف بين الشفة الدالة على المرونة والأسنان الدالة على الصلابة) علم الأصوات٦٤(لترسم حقيقة ذلك الخط الفاصل الواصل بين وجهي شخصية الشاعر لأنه خطّ دقيق جدا يسهل من خلاله الانتقال من الوجه الهادئ المرن إلى الوجه القاسي الهائج الصلب تماما.

فالشاعر أوضح نوع العلاقة ومدى عمقها بعتاب يتشح بالمرارة، لأن صديقه لم يلتزم معه في دوام عهد المحبة، مما يكشف عن تلاحم البنيتين الصوتية والدلالية في الهمزية.

أما في قول الشاعر:(الديوان ٢٣)

أفـلا كان منـك ردٌّ جميـل

فيـهِ للنفـسِ راحـة مـن عنـاءِ ؟

ففي لفظ «راحة» نجد حرف الحاء حرف مهموس من حروف الحلق) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس ٨٦(،((وأصوات الحلق ما عدا الهمزة كما يصفها القدماء والمحدثون أصوات رخوة))) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس ٨٥(، كأنّ لها حفيفًا يُسمع عند نُطقها.

وقد وصفه ابن جني «بالرقة») الخصائص ٢/ ١٥٨(، ففي لفظ «راحة « نجد ان في بحة الحاء المنطلقة من الصدر دلالة صوتية انها نابعة من القلب إلى القلب ومن الشغاف إلى الشغاف) الصوت اللغوي في القرآن ١٨٧).

والكلمة مجتمعت في العتاب، فمدلولها تحاكي حرف الحاء في لغة الشاعر فهي دلالة الصدى الحالم، وهذا ما أطلقه الدكتور الصغير على ألفاظ ملؤها الحنان تؤدي معناها من خلال أصواتها) الصوت اللغوي في القرآن (١٨٤، وكأن الشاعر ترنم في هذه الأصوات مما أدى إلى إضفاء إيقاع أعلى على النص عن طريق مدة، المدة الزمنية التي يستغرقه زمن النغم الصوتي) النون في العربية ٢٥٨).

المبحث الثاني

الأصوات المستعلية والمنخفضة

الإستفال: هو خفض اللسان عند نطقه بالحرف، عن الحنك الاعلى، وهو من صفات الضعف، وضده الاستعلاء: وهو علو اللسان وارتفاعه الى الفك العلوي عند نطق الحرف، والاستعلاء صفته القوة، وحروفه تمتاز بالتفخيم، وعددها سبعه: (خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق) وأقواها الظاء، وإذا لم يكن الحرف من حروف الاستعلاء فهو من حروف الاستفال، وصوت «خ، غ، ق» لا إطباق فيها رغم استعلائها) سر صناعة الإعراب ١/ ٦٢(، فمخارجها العميقة.هي: اللهاة، الطبق، والحنجرة على الترتيب، وتضارع عمق مخرج العين، تؤدي دلالاته من حيث المخرج) المصطلحات

اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص ١٦١(ففي لفظ « الأقذاءِ « الواردة في قول الشاعر) الديوان ص٢٣):

أنتَ عيني، وليس من حق عَيني
غَضُّ أجْفانها على الأقذاءِ

نجد ان صفتي القوة في القاف الجهر والانفجار السريع المفاجىء) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ج١/ ١٦١(، حين تتضافران مع صفته المميزة: القلقلة والهتّة التي تلي انفجاره) اسباب حدوث الحروف – ابن سينا ٨١(، وتأخر اللسان عند نطقه) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ج١/ ١٦٠-١٦١(، قد عكست لنا عبر هذا التضافر موقف الشاعر القوي في عتابه لصديقه وانتقاء الفاظه؛ لأن الاوليين اعني الجهر والانفجار هما صفتا قوة) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ج١/ ١٦٠ (أما القلقة فضعف لأنها اضطراب ونقص إذ لا تكتمل شخصية القاف إلا بصُويت يتبعه) الخصائص ج٢/ ١٧٨).

فالقاف بقلقلته دلالة على ضعف الذات وحاجتها لغيرها كي تقوم بدورها. ويمتاز القاف بطول مدّة حبس الهواء وقصر مدّة الانفجار؛ أي سرعة انفصال اللهاة عن جذر اللسان) الخصائص ج٢/ ١٧٨(، وهو ما يناسب المشهد الشعري من حيث طول احتباس الغيظ في ذات الشاعر وسرعة حدث الانتقال بأسلوب الاغراب الذي يتم جهارا وسط الحجيج المصوّت بسرعة فائقة تجعل الشاعر يفلت من بينهم دون أن يدركوه تماما كجهر القاف) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ١٧٤).

فقد حذق ابن الرومي بأسلوب الاغراب الذي يعتمد على التدقيق بالمعاني المبذولة الشائعة وفي توليدها بمعنى جديد بعد وصلها بمعنى آخر.

فلو شبه ابا القاسم بعينيه، وهو معنى شائع في المعزة والتودد لتوقف دونه أو اقتصر عليه لكان ذلك نقلا عن السنة العامة لكنه دأب على الإفادة منه بمعنى جديد فاستطرد إلى قذى العين فأصبح أبو القاسم عينا يغضها القذى.

هكذا تحول بالمعنى الشائع العادي الى معنى كثير الغرابة والجدة؛ ذلك ان الشاعر عرف كيف يكيفه ويؤلفه ويولد منه حتى اصبح للعين ذات القذى معنى يختلف غاية الاختلاف عن معناها في عادة الشعر. وكأن الشاعر صانع _ باسلوب الاغراب والمستحيل ذاته _ غرابة ونوادر أكثر مما هو ناقل لواقع الشعور وعفويته) ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره ٢٣٩)

المبحث الثالث

أصوات الذلاقة

تعد أصوات الذلاقة من((أخف الحروف على اللسان، وأحسنها انشراحًا، وأكثرها امتزاجًا بغيرها، وهي ستة أحرف: «الفاء، والياء، والميم، والراء، والنون، واللام»)) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ١٧٤).

فهذه الأصوات من أكثر الأصوات تأثرا في المسار الإيقاعي لامتيازها بخصائص موسيقية تجعلها أقدر على إحداث تأثيرات نفسية أشبه بالتأثير الذي يحدثه اللحن الموسيقي) موسيقى الشعر العربي ١١٠).

ففي قول الشاعر:) الديوان:٢٣)

نمـــت عنها لمثلك عـــذر
عند ذي نُهية على الإغفـــاء
قسمًا لو سألت أخرى عوانا
لتنمرت لي مـــع الاعـــداء
لاجـــازيك من غرورك ايا
ي غـــرورا وقيت سوء الجزاء

ويبدو ان فونيم الراء مناسب لهذا النص لأن سمته المميزة: التكرار) الكتاب سيبويه ج٤/ ٤٣٥ (ففي هذه الأبيات نوع من التأنيب والتوبيخ بل فيها سخط توضح هنات صديقه وعيوبه وهنا شاهد التكرار تكرار الهنات المتمثلة بقوله: « لتنمرت، غرورك، غرورا » فكأن الشاعر أكثر من ذكرها وكررها لكنه مزجها بالرضا ليوضح العلاقة الحمية بينهم بعد ان أصابتها البرودة محاولا فيها الحفاظ على صداقتهم فخاطبه بذلك.

ومن جهة أخرى يدل تكوّن الراء من مرحلتين:

الأولى: سدّ لمجرى الهواء فانفتاح سريع) علم الأصوات العام بسام بركة ١٢٨(لتبين حالة الصراع الذي يدور داخل نفس الشاعر بين إظهار التأنيب والتوبيخ أم مزجه بالرضى من اجل الحفاظ على صديقة، الأمر الذى يبدو كحبس الهواء في المرحلة الاولى من نطق الراء.

اما المرحلة الثانية كإطلاق الهواء من نطق الراء) علم الأصوات العام بسام بركة ١٢٨(، فقد تمثلت من خلال براعة الشاعر في مدح صديقه ووصفه بالذكاء والمهارة والبراعة؛ ليخفف من شدة التأنيب والتوبيخ، ولقصد الكسب الوفير وبلوغ الغنى لنيل مكانة اجتماعية مرموقة عند صديقه، والأبيات أدناه تؤكد ما ذكرناه.

قال الشاعر:) الديوان: ٢٤)

ثاقـــب الرأي نافذ الفكـــــر فيها
غيـــــــر ذي فتـــــرة ولا إبطـــاء
تهـــــزم الجمع أوحديا وتلوي
بالصناديـــد أيمـــا إلـــــواء
وتحط الرخاخ بعـــــد الفرازيـــ
ن فتـــزداد شـــــدة استعلاء
رُبمـــــا هالني وحيـــــر عقلي
أخـــــذك اللاعبين بالبأســـاءِ

اما الجهر العالي للراء) اللغة وعلم النفس د. موفق الحمداني ٨٢(فهو صيحة الشاعر المدوّية في وجه صاحبه ليوضح له بعتاب متسائلا عن عدم اعطاء صداقته حقها اذ لم يقض له حاجته، فمن خلال الموسيقى المتدفقة من عمق هذه الأصوات أراد الشاعر ان يبين لصديقه النعمة التي ينعمها الله على عباده وهي نعمة رقة القلب وتطيب النفس الرافلة بالخير والإحسان والحنان (الصوت اللغوي في القرآن ١٨٥).

الخاتمة

١. تعد الأصوات المنبع الرئيس لتشكيل اللغة، فهي تؤدي وظيفة تأليف الكلمات لإنتاج معانيها

٢. لقد استعمل ابن الرومي في قصيدته العتب والتقريع والمدح لتحقيق غايته واقناع المخاطب بتقصيره.

٣. ان تظافر الأصوات مع بعضها جعلت القصيدة تمثل وحدة فنية، متناسقة الابيات.

٤. كان هذا التظافر عاملا اساسا في توليد المعاني في همزية ابن الرومي للتعبير عن الدلالةالمقصودة.

المصادر والمراجع

١. ابن الرومي: فنه ونفسه من خلال شعره، ايليا سليم الحاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٩م.

٢. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي – قراءة أبي عمرو بن العلاء: عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧.

٣. أسباب حدوث الحرف: ابن سينا، تحقيق: يحي ميرعلم ومحمد حسان الطيان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٣.

٤. الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة محمد عبد الكريم حسان، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥. البحث اللغوي عند العرب: أحمد مختار عمر، منشورات عالم الكتب، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٢ م.

٦. بيان إعجاز القرآن: الخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق: محمد أحمد خلف الله ود.محمد زغلول سلام دار المعارف بمصر (د.ط) (د.ت).

٧. البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ أبو عثمان (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٨ م.

٨. التطور النحوي للغة العربية: المستشرق برجستراسر، حقّقهُ وعلّق عليه د. رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٢م.

٩. الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت (د.ت).

١٠. دلالة الألفاظ: الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، مصر ١٩٧٦.

١١. ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب

والوثائق القومية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٢. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات، دار عمار، الطبعة الثانية، الأردن ١٩٨٤.
١٣. سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٠م.
١٤. الصوت اللغوي في القرآن: الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٠م.
١٥. الصوتيات والفونولوجيا: مصطفى حركات، دار الافاق، الجزائر، (د.ط) (د.ت).
١٦. علم الأصوات العام _ أصوات اللغة العربية_: بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، (د.ط) (د.ت).
١٧. علم الأصوات: الدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٨. علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية: د.فريد عوض، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٩. علم وظائف الأصوات اللغوية-الفونولوجيا: عصام نور الدين، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٠. العين:أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة الطبعة الثانية، إيران، ١٤٠٩ هـ.
٢١. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بـ(سيبويه) (١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٣م.
٢٢. اللغة وعلم النفس: د.موفق الحمداني، مديرية الكتاب للطباعة والنشر، الموصل، (د.ط) (د.ت).
٢٣. اللهجات العربية في القراءات القرآنية: د. عبده الراجحي، مطبعة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٢٤. مدخل في الصوتيات، عبد الفتاح ابراهم، دار الجنوب، تونس، (د.ط) (د.ت).
٢٥. المزهر في علوم اللغة وآدابها: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان ١٩٩٢.
٢٦. المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، د. محمد رشاد الحمزاوي، الدار التونسية للنشر، تونس_ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٧.
٢٧. الممتع في التصريف: علي بن مؤمن، المعروف بـ(ابن عصفور) (٦٦٩هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، الجزء الأول: المكتبة العربية، الطبعة الأولى، حلب ١٩٧٠، الجزء الثاني: دار الآفاق الجديدة، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٧٩.
٢٨. من بلاغة القرآن: أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٠م.
٢٩. موسيقى الشعر العربي: الدكتور شكري محمد عياد، دار المعرفة القاهرة، ١٩٦٨ م.
٣٠. النشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بـ(ابن الجزري) (٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الصباغ، مطبعة مصطفى محمد، مصر (د.ت).
٣١. النون في العربية: مشتاق عباس معن علي، الطبعة الاولى، بغداد ١٤١٨هـ-١٩٩٨م